

الركن الثاني من أركان عقيدة المؤمن

الإيمان بالملائكة

مقدمة:

قبل البحث في هذا الركن من أركان العقيدة نقدم بيان الحقائق الثلاث التالية:

الأولى: أن الكون كله ينقسم إلى غيب، وشهادة. فالغيب: ما غاب عن الموجودات عن أعين الناظرين وإن كانت حقيقة محصلة في صدورهم، لا تغيب عن خواطرهم، وذلك ككل الموجودات الأرضية والسموية.

والشهادة: خلاف الغيب وهي كل ما كان من الموجودات أمام نظر الإنسان يشاهده ويراه أو كان بحيث يدركه بإحدى حواسه التي هي السمع، والبصر، واللمس، والشم، والذوق.

الثانية: أن الإنسان بحكم طبيعة الحياة مقدر له الإيمان بالغيب: مفروض عليه، لا يستطيع التخلص منه بحال، اللهم إلا إذا سَفِه نفسه، وأراد التخلي عن كرامته الآدمية، وعن شرفه الإنساني؛ ليصبح بعد ذلك حيواناً هابطاً لا خير فيه، أو آلة صماء لا وعى لها، ولا إدراك!!!

وذلك؛ لأن الإنسان كائن متحيز متى وُجد في مكان استحاله عليه أن يوجد في مكان آخر مع بقائه في مكانه الذي هو فيه. ومن هنا ستصبح سائر الأمكنة التي تخلو منه ببعده عنها غيباً له. وليست بشهادة عنده، ولا بد له من أن يؤمن بها، وبما فيها من أشياء، جواهر وأعراض، متى وجدت آثار تدل على ذلك، أو أخبار صادقة تنبئ به.

ثم إن حواس الإنسان التي يحصل له العلم بها محدودة القوة، محصورة الإدراك في مجال معين لا تتعداه. فسمعه مقيد في السماع بالأصوات العالية فإذا انخفضت إلى درجة معينة تعذر عليه أن يسمع، وبصره مقيد برؤية الأجسام الكبيرة فإذا صغرت ودقت، وبلغت حداً معيناً من الصغر والدقة عجز عن رؤيتها، ولمسه كذلك، فإنه يحس بالأجسام الكثيفة، فإذا خَفَّت انقطع إحساسه بها. وحتى عقله فإنه يكل عن إدراك أشياء معقولة، ويعيا عن تصورهما تماماً.

ومن هنا كان لا بد للإنسان من الإيمان والتصديق بأشياء لم يشاهدها ولم يحس بها، بأية حاسة من حواسه، ولم يدرك حتى تصورهما بعقله، ولا خيار له في ذلك إذا أراد أن يقيم لكرامته وزناً، ولقيمته البشرية قدراً من الاحترام والتقدير!!!

وكيف تُنكر هذه الحقيقة، ونحن نرى أن الإنسان يعيش في بلد ما ولم يخرج منه أبداً وهو يؤمن بعشرات البلاد، ويصدق بوجودها وهو لم يرها، ولم ير من رآها قط.

كما نرى إنساناً آخر لم ير الفيل طول حياته، وهو يؤمن بوجود هذا الحيوان الذي لم يره، ولم ير من رآه أبداً، ونرى ثالثاً يؤمن بالجاذبية إيماناً جازماً، ومن المعلوم أن الجاذبية مما لا يرى ولا يُشاهد أبداً. ونجد رابعاً وُلد ولم يعرف والده لموته قبل ولادته، وهو يؤمن بأن له والداً، ولا ينكر ذلك بحال، ولذا كان من المضحكات أن يدعى إنسان أنه لا يؤمن بالغيب، أو أنه يستطيع أن يعيش في هذه الحياة بدون الإيمان بالغيب.

الثالثة: أن الإنسان يكتسب علمه بالموجودات عن طريق عقله وحواسه معاً، فبعقله يدرك سائر التصورات العقلية، وبالحواس يدرك سائر الماديات من مرئي، ومسموع، ومحسوس، ومشوم، ومطعم. فبالعقل أدرك فضيلة الصدق، ورذيلة الكذب. وبالعقل أدرك المستحيلات: ككون الشيء إذا وجد في مكان لا يوجد في غيره، والواجبات: ككون الجسم لا بد له من حيز يشغله، وككون المصنوع لا بد له من صانع، والجاثرات: ككون المريض قد يُشفى وقد لا يشفى، والغائب قد يعود وقد لا يعود.

وبحاسة البصر أدرك المرئيات: أطوالها، وأعراضها، وصفاتها.

وبالسمع أدرك الأصوات، وفرق بينها، وأدرك الأخبار ومدلولاتها، وبالذوق أدرك سائر الطعوم، وعرف حلوها ومرها، وحامضها وسامجها، وبالشم أدرك سائر الروائح طيبها وكريهها. وباللمس أدرك الأجسام وفرق بين خشنها وناعمها، وحارها وباردها.

هذه هي طرق اكتساب الإنسان لعلومه ومعارفه (العقل والحواس) وهو مستعد دائماً للحصول على المعارف بواسطةها. إن الإنسان يتعقل الشيء ثم يصدر حكمه عليه بالإثبات، أو بالنفي، بالوجوب، أو الاستحالة أو الجواز، وينظر إلى الشيء فيحكم عليه بالطول، أو القصر، بالبياض أو السواد، ويسمع الصوت فيحكم بأن المسموع صوت كذا أو كذا... إلخ.

وهكذا يتحصل الإنسان على معرفته بالموجودات بقسميها: الغيب والشهادة، بواسطة العقل والحواس، بيد أن ما كان من الموجودات غيباً محضاً فإن طريق الحصول على معرفته والإيمان به هو السماع به، أو مشاهدة آثاره الدالة عليه.

فالمرء إذا أخبره أحد أن فلاناً مات، أو سافر، أو قدم من سفر، وكان بعيداً عنه لا تمكنه رؤيته حصل له العلم بحاله من موت أو سفر، أو قدوم منه، حصل له بواسطة الخبر الذي تلقاه عن غيره من عقلاء الناس، والمرء قد يمر بأرض فيجد بها سيولاً تجري، وشعاباً طافحة بالماء فيعلم فوراً أن مطراً قد نزل بتلك الأرض، وإن لم يشاهد نزوله، ولم يخبره بنزوله أحد، وإنما حصل له علم به بواسطة الأثر، وهو سيلان الأودية وامتلاء الشعاب. وقد يمر الإنسان بمكان ما فيشم

روائح طيبة. فيعلم أن هناك عطاراً، أو أشجاراً من ذوات الروائح الطيبة، وإن لم ير ذلك بعينه، ولم يخبره به أحد من الناس. وهكذا يؤمن الإنسان بالغيب، ويحصل فيه على اليقين الكامل بواسطة خبر الثقات، أو آثار الأشياء التي آمن بها، وصدق بوجودها لدلالة آثارها عليها.

ومن هنا كان الإيمان بوجود الملائكة أمراً معقولاً، ومطلباً سهلاً ميسوراً، فالملائكة وإن كانوا غيباً، فقد دل على وجودهم الدليل الذي تثبت به كل الموجودات الغيبية عند الإنسان، والذي هو خبر الثقات، وآثار الموجودات. ونزيد هذه الحقيقة توضيحاً فنقول:

أليس الإنسان العاقل يخبره ذو صدق بحدوث كذا أو كذا من الممكنات فيصدق في خبره، ويعتقد صحة ما أخبره به ؟

أليس الإنسان العاقل يسمع صوتاً بعيداً عنه لم ير مصدره فيؤمن بذي الصوت، ويصدق بوجوده كأنه رآه وشاهده ؟

أليس الإنسان العاقل يجد كرسيّاً قد وضع في غرفة فيعلم أن هناك أحداً قد وضع هذا الكرسي، وأعدّه للجلوس عليه، وإن لم ير من فعل ذلك ؟

أليس الإنسان العاقل إذا رأى كتاباً يعلم فوراً أن هناك أحداً أملى هذا الكتاب، وأن آلة قد طبعته، ولا يشك في هذا ولا يتردد أبداً ؟

وحصول هذه اليقينات له كانت كلها من طريق الخبر أو الأثر، وهما الدليل العقلي للإيمان بكل الغيوب. ولهذا سوف نتكلم عن الملائكة بجملة الفهم، ونقرر أن وجودهم يقيني، وحقيقة ثابتة لا يقوى عاقل على إبطالها أو نفيها. أما الذين كفروا بربهم، وتكفروا لعقولهم، وهبطوا من سماء كرامة آدميتهم؛ فأصبحوا لا يؤمنون بشيء حتى بوجودهم - فإننا لا نقيم لهم وزناً، آمنوا أو كفروا، صدقوا أو كذبوا.

وهذا هو دليل وجود الملائكة عليهم السلام وهو الدليل الذي قدمنا أنه بواسطته آمن العقلاء بكل غيب تعذر أن يكون من قسم الشهادة، والدليل كما سبق أن عرفناه، يتكون من عنصرين: الأول الأخبار، والثاني الآثار.

الأخبار:

أولاً: أخبار الله تعالى، رب العالمين، وخالق الملائكة، والجن، والناس أجمعين، وكفى بما يخبر به الله تعالى دليلاً؛ إذ الخالق أعلم بما خلق، ومن أخباره تعالى قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة: 30).

فقد تضمّن هذا الخبر وجود الملائكة ومخاطبة الله تعالى لهم، ومخاطبتهم له سبحانه وتعالى، وهو دليل قاطع على وجود الملائكة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 34).

ففي هذا الخبر أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأنهم سجدوا إلا إبليس أبى، وهل يؤمر ويمثل غير موجود؟!

وقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: 172).

ففي هذا الخبر أن الملائكة المقربين لا يستنكفون من عبادة الله ولا يستكبرون، وهل يستنكف ويتكبر غير موجود؟ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ (الزخرف: 19).

وفي هذا الخبر ينكر تعالى، ويعيب على المشركين دعواهم أن الملائكة إناث حيث قالوا ما ليس لهم به علم، فهل يعقل أن يُعاب أو ينكر على غير موجود؟
وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ (النجم: 26).

ففي هذا الخبر أن كثيراً من الملائكة لا تغني شفاعتهم عن أحد شيئاً، وهل يشفع أو لا يشفع غير موجود؟ وأخيراً فهل هذه الأخبار الإلهية عن الملائكة وهي كثيرة جداً، وكلها تتحدث عن صفاتهم، وأحوالهم، وعباداتهم، وأعمالهم لا تدل على وجود الملائكة، دلالة تكسب اليقين؟ اللهم بلى.

ثانياً: أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتحدثهم عنهم، ووصفهم لهم، وتلقيهم الوحي بواسطتهم، وهي كثيرة فلنكتف منها بما تواتر عن خاتم أولئك الرسل وإمامهم محمد - عليه الصلاة والسلام - فقد صح عنه ﷺ قوله: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»⁽¹⁾ وقوله: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»⁽²⁾ وقوله: «إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام»⁽³⁾ وقال: «إذا أمن الإمام فأمنوا؛ فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽⁴⁾. وكان يقول في دعائه: «اللهم رب جبرائيل،

(1) متفق عليه، واللفظ لمسلم، اللؤلؤ والمرجان (39/3)، مسلم (157/6)، والبخارى (4/138).

(2) رواه مسلم (80/2).

(3) إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح، وقد أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان. فضل الصلاة على النبي ﷺ من تعليق الألباني الطبعة الثانية ص (36).

(4) متفق عليه واللفظ لمسلم. اللؤلؤ والمرجان (83/1)، مسلم (17/2)، والبخارى (187/1).

وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»⁽¹⁾ كما أخبر ﷺ، وتحدث عن ملك الموت وأعوانه، وعن الروح، وعن ملكي القبر، وعن الحفظة، والكرام الكاتبين، وعن رضوان خازن الجنان، وعن مالك خازن النيران، وغيرهم من الملائكة في أحاديث متواترة صحيحة، فكيف يسوغ عقلاً، أو يصح منطقاً وذوقاً أن تبلغ الإنسان هذه الأخبار الإلهية والنبوية، وهي أصح خبر في الوجود، ولا يؤمن بالملائكة ولا يصدق بوجودهم؟! اللهم لا.

الآثار:

آثار الملائكة الدالة عليهم دلالة قطعية كثيرة جداً، نكتفي بطرف منها فنقول: هذا القرآن الكريم كتاب الله بين أيدينا سورة العديدة، وآياته الكثيرة، وعلومه، ومعارفه، وإعجازه أثر من آثار الملائكة؛ إذ تلقاه المنزل عليه ﷺ بواسطة، ولم يكن من الله مباشرة، فما هي الوسطة؟ إنها جبريل كما أخبر بذلك مرسله، ومنزله في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُ لَكَلِمَ بَصِيصًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الشعراء: 192-195).

وهذا ملك الموت الذي يتخطفنا يوماً ف يأخذ أرواحنا، ويُنهي بأخذها حياتنا، ويفصلها عن أجسامنا، فتُعدم الحياة، فهل يشترط للتصديق به رؤيتنا له، وآثار فعله ظاهرة فينا لا تنكر؟ اللهم لا. ولو سألنا خالقنا وقلنا: من يتوفانا؟ لكان الجواب: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: 11).

ثم إن كلاً من جبريل وملك الموت عليهما السلام قد رؤيا عياناً غير مرة وهما من أعظم الملائكة، فجبريل قد دخل مرة المسجد وعشرات المصلين حاضرون، فانتهى إلى النبي ﷺ وهو جالس فجلس إليه، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذه، وأخذ يسأل رسول الله ﷺ وهو يجيبه، فسأله عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وأشرط الساعة، وكان ساعتئذ في صورة رجل⁽²⁾. كما أن ملك الموت قد تواترت الأخبار برؤيته عند دنوه من المريض لقبض روحه، فكم من مريض تحدث بذلك، وأخبر به قبل وفاته بفترة زمنية ثم يموت.

الإيمان بالملائكة أحد أركان العقيدة الإسلامية:

وبعد: فإنه لم يبق بنا حاجة إلى سرد المزيد من الأدلة على وجود الملائكة، فلذا نشرع الآن

(1) رواه مسلم من حديث عائشة رضی الله عنها (2/185).

(2) هذا الحديث الذي ذكر إجمالاً رواه مسلم (1/28-29)، ورواه البخاري بمعناه (6/144).

في تقرير كون الإيمان بالملائكة ركناً من أركان عقيدة المؤمن فنقول: لقد ذكر الله تعالى أركان العقيدة الإسلامية في عدة آيات من كتابه، وذكر من بينها عقيدة الإيمان بالملائكة وذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: 177). وفي قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: 285). وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: 136).

كما ذكر الرسول ﷺ في حديث عمر المعروف بحديث جبريل أركان الإيمان الستة وذكر من بينها الإيمان بالملائكة وأقره جبريل على ذلك وصدقه؛ إذ كان هو السائل له في محضر مئات الصحابة وهو في صورة رجل، وبعد انصرافه أعلن الرسول ﷺ لأصحابه أن السائل كان جبريل عليه السلام⁽¹⁾.

وبهذا كان الإيمان بالملائكة ركناً من أركان عقيدة المؤمن التي لا تتم إلا به، وكان من شك فيه، أو حاول التشكيك كاذباً كافراً لا حظَّ له في الإسلام، ولا مُقام له بين المسلمين؛ لتكذيبه لله ورسوله والمؤمنين، ولإنكاره لقضايا العقول، ومسلّماتها البديهية.

خلق الملائكة

تعريف:

الملائكة: جمع ملاك، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكاً؛ وهو مشتق من كلمة الألوكة التي هي الرسالة، والجمع ملائك وملائكة.

مادة خلق الملائكة:

الملائكة خلق عظيم، وعددهم كثير لا يأتي عليه العد، ولا يحصيه من دون الله أحد، خلقهم الله من النور، وطبّعهم على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يأمرون به، ولا يأتونه، ولا يفعلونه. فلذا هم لربهم مطيعون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يسأمون من عبادة الله ولا هم عنها يستكبرون، أخبر الرسول ﷺ عن مادة خلقهم فقال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»⁽²⁾.

(1) تقدم تحريجه.

(2) إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59)، وإلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: 26)، والحديث رواه مسلم (8/ 227).

تفاضل الملائكة

والملائكة يتفاضلون في القرب من الله تعالى وعلو المنزلة كالبشر أو هم أكبر تفاضلاً، إن منهم الملائكة المقربين، لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: 172). ومنهم حملة العرش لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: 17).

ومنهم الكروبيون، ومنهم غير ذلك، وأفضلهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل ملك الموت، وأعظمهم الروح الأمين عليهم السلام أجمعين.

أعمال الملائكة:

إن ما يقوم به الملائكة من أعمال لكثير جداً، ومختلف متنوع إلى حد كبير، وهذا بيان مجمل عما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة من وظائف الملائكة وأعمالهم التي أناطها الله تعالى بهم عبادة له وطاعة:-

1- جبريل عليه السلام، ويسمى روح القدس أيضاً، وصفه الله عز وجل بالقوة والأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: 19-21).

وخصه بأشرف وظيفة، وهي السفارة بينه تعالى، وبين رسله عليهم السلام فكان ينزل بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: 192-194).

وصح عن النبي ﷺ أنه رافقه في أعظم رحلة تمت في الوجود، وهي إسراء النبي ﷺ ومعراجه، فرافقه عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى (1).

2- ميكائيل: ووظيفته التي وكله الله بها المطر والنبات.

3- إسرافيل: ووظيفته التي وكل بها النفخ في الصور يوم القيامة.

4- ملك الموت عزرائيل: وهو موكل بقبض الأرواح، وله أعوان من الملائكة لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (الأنعام: 61).

(1) قصة الإسراء والمعراج ثابتة في الصحيحين، راجع اللؤلؤ والمرجان (1/35-39)، والبخارى (1/92-94). ومسلم (1/99-101)، وقد ثبتت قبل ذلك بالقرآن وفيه سورة باسم الإسراء، وسيأتي تفصيل في (الوحي الإلهي وطرقه) فيما سيأتي من موضوعات الكتاب - إن شاء الله تعالى.

5- أعوان ملك الموت، وهم صنفان: ملائكة رحمة، وملائكة عذاب، وهم مع ملك الموت، المقصودون بقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾.

6- حملة العرش: عرش الرحمن عز وجل وهم أربعة، وإذا جاء يوم القيامة أضيف إليهم أربعة آخرون، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: 7). ولقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: 17).

7- رضوان: وعمله الذي وكل به خزانة الجنان، فهو خازن الجنة ورئيس الخدم بها.

8- خدم الجنة: وهم ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: 23-24).

وورد أن للواحد من أهل الجنة خدماً لا يقلون عن ثمانين ألف خدام، وظيفتهم: خدمة أهل الجنة (1).

9- الزبانية: وهم تسعة عشر ملكاً، وكلهم الله تعالى بالنار، فهم خزائنها يعذبون فيها أهلها، قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ آحَةَ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المدر: 26-31).

ورئيس هؤلاء الخزنة يدعى مالكا. قال تعالى في الحديث عن أهل النار: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكُونُ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف: 77، 78).

10- الكرام الكاتبون: وعملهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله، وعن يساره ملك يكتب سيئات عمله. قال تعالى: ﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: 10-12). وفي الصحيح: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبزق أمامه فإنه ينجي الله تعالى ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، ليصق عن يساره، أو تحت قدمه» (2).

11- الحفظة: عملهم حفظ الإنسان من الجن، والشيطان، والعاهات والآفات، قال تعالى: ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: 11).

(1) روى الترمذى حديثاً في هذا المعنى ولكن في إسناده كلام.

(2) وإن قيل: كيف يصق عن يساره وكاتب السيئات عن يساره؟ قيل: إن المؤمن في الصلاة لا يفعل سوءاً قط فلذا ينضم كاتب السيئات إلى كاتب الحسنات، إذ الصلاة هي أم الحسنات ولا سيئة فيها، والحديث رواه الشيخان بلفظ قريب من هذا - اللؤلؤ والمرجان - (1/111).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه» (1). وقال مجاهد: «يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس، والهوام» (2).

12 - الملك الموكل بالرحم: لحديث البخاري ومسلم واللفظ له: «إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال: قال الملك أي رب ذكر أو أنثى - شقى أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه» (3).

13 - ملك الجبال: وهو ملك وكله الله بالجبال لحديث البخاري ومسلم: «فناداني ملك الجبال فسلم عليّ فقال: يا محمد ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ... الحديث».

14 - الملائكة السياحون: وهم ملائكة في الأرض يبلغون سلام أمة محمد وصلاتها على نبيها صلى الله عليه وسلم لحديث أحمد وهو صحيح الإسناد «إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام» (4).

15 - ملائكة الدعاء، وعملهم الذي وكلوا به أن العبد إذ دعا بدعوة لأخيه المؤمن وهو غائب قال الملك: «أمين ولك بمثل ذلك»، ولحديث مسلم: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل» (5).

16 - ملائكة العروج بأرواح العباد بعد الموت، لحديث مسلم: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فيصعدانها» - قال حماد (راوي الحديث) فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال -: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى ما كنت تعملينه، فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل» .. وذكر للكافر عكس ذلك (6).

17 - منكر ونكير: وعملهما سؤال العباد في قبورهم عن الرب تعالى، والدين، والنبي صلى الله عليه وسلم أي يقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ لحديث الترمذي وهو حسن الإسناد وأصله في الصحاح وفيه: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر نكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبد الله ورسوله، فيقولان: قد

(1) تفسير ابن كثير طبعة الحلبي (2/503).

(2) اللؤلؤ والمرجان (3/208)، والبخاري (1/83)، ومسلم (8/46).

(3) اللؤلؤ والمرجان (2/227/228).

(4) أخرجه النسائي وابن حبان، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بتعليق ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية (ص 36).

(5) معناه لمسلم (8/86). (6) مسلم (8/162).

كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»، وإن كان منافقاً قال: «سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا أدري، فيقولون: قد علمنا أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التثمي عليه، فتلتثم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»⁽¹⁾.

هذا وإذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾، ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾، ﴿فَالسَّالِيَاتِ﴾، ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾، ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ﴾ لقلنا في صدق: إن الكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمر تديره بالملائكة، وذلك ياذن ربهم تعالى، ويضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع إلا عليه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى»⁽²⁾.

بعض صفات الملائكة

إن الملائكة بذواتهم وصفاتهم من الغيب المحض، قد دل الدليل العقلي والشرعي على وجودهم، وعلى وجوب الإيمان بهم، والتصديق بأعمالهم، وأحوالهم. والمراد من الدليل العقلي والشرعي ما سبق أن ذكرناه من أنه الأخبار الصادقة، والآثار الناطقة.

ومن خلال الأخبار الصادقة التي هي الدليل الشرعي تحصلنا على عدد كبير من صفات الملائكة، وأحوالهم تثبتت هنا في آخر بحث هذا الجزء من عقيدة المؤمن تقريراً وتأكيذاً فنقول:

١ - حياؤهم:

إن الملائكة تستحي استحياء يليق بحالها؛ إذ قد صح أن النبي ﷺ قال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟»⁽³⁾ يعنى بذلك الرجل: عثمان بن عفان رضي الله عنه. ففي هذا الخبر الصادق الصحيح دليل على صفة الحياء للملائكة.

٢ - تأذيتهم:

إن الملائكة تتأذى من المكروه كما يتأذى منه الإنسان لحديث مسلم: «من أكل من الثوم، والبصل، والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»⁽⁴⁾ ولحديث

(1) رواه الترمذى (جناز/ 70)، وأبو داود بمعناه (2/ 540، 541)، وابن ماجه (جناز/ 65)، وأحمد (3/ 126، 4/ 288).

(2) رواه أحمد (5/ 173)، والترمذى (زهدي/ 9)، وابن ماجه (زهدي/ 19)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(4) مسلم (2/ 90).

(3) رواه مسلم (7/ 117).

الصحيحين أيضاً «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»⁽¹⁾، فعدم دخولهم البيت الذي فيه كلب أو صورة كراهية منهم لهما دليل على تأذيبهم من هذا المكروه.

٣ - تنزههم عن الأعراض البشرية:

إن الملائكة منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع، والمرض، والأكل والنوم، والتعب وما إلى ذلك، فقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام، إذ أخبر تعالى عنهم: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: 20). ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون.

٤ - خوفهم من الرب تبارك وتعالى:

إن الملائكة يخافون من الله تعالى، أثبت ذلك الخبر القرآني في مثل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿ (النحل: 49، 50). وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: 28).

٥ - طاعتهم لله تعالى:

إن الملائكة مطيعون لله تعالى، لا يعصونه بحال من الأحوال، وذلك لقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: 6). وقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٦٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿ (الأنبياء: 26، 27).

٦ - حبهم لمن يحب ربهم:

إن الملائكة تحب حباً يليق بحالهم، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعي على أنهم يحبون، ففي حديث الصحيحين: «إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»⁽²⁾.

٧ - دعاؤهم ولعنهم:

إن الملائكة ليدعون ربهم ويسألونه كما قال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ

(1) متفق عليه واللفظ لمسلم، اللؤلؤ والمرجان (3/ 39)، مسلم (6/ 157)، والبخارى (4/ 138).

(2) اللؤلؤ والمرجان (3/ 205، 206)، والبخارى (9/ 173، 174)، ومسلم (7/ 40، 41).

لَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ غافر: 7). وإنهم ليلعنون من لعنه ربهم سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (البقرة: 161، 162).

٨ - عظم خلقهم وتفاوتهم فيه:

إن خلق الملائكة لعظيم، وهم يتفاوتون فيه تفاوتاً كبيراً، فقد صح أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح⁽¹⁾، في حين أن من الملائكة من له جناحان فقط، كما قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فاطر: 1).

روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، ومن شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام، فيقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت».

وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في ذلك عنه ﷺ قوله: «إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك!! فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بي كاذباً»⁽²⁾.

الجن والشياطين

وبمناسبة بحث الركن الثاني من عقيدة المؤمن «الإيمان بالملائكة عليهم السلام» نعرض لقضية الجن والشياطين؛ إذ الإيمان بوجودهما جزء من عقيدة المؤمن أيضاً، وذلك لأنهما من الغيب الذي أمر المؤمن بالإيمان به وتصديق الله ورسوله فيما قالوا في شأنه، وأخبر به.

ولولا الرغبة في زيادة إنارة عقيدة المؤمن لما كان بنا حاجة إلى بحث هذه المسألة من العقيدة بحثاً مستقلاً، وذلك لأمرين: أولهما: أن من آمن بالله تعالى، وبعلمه، وقدرته، وحكمته لا يتردد في تصديق الله تعالى في أي شيء يخبر به من غيب أو شهادة، لاسيما مسألة كهذه حيث قررها الله تعالى، وأثبتها في عشرات الآيات من كتابه الكريم. وثانيهما: أن الأدلة العقلية،

(1) ثبت هذا في الصحيحين، اللؤلؤ والمرجان (4/1)، والبخارى (140/46)، ومسلم (109/1).

(2) ذكره صاحب الحبايك وعزاه إلى أبي داود، والذي وقفت عليه في أبي داود نصح: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة عام» والمراد من الديك أنه شبه الديك، ومعنى مرقت: خرقت، أبو داود (534/2).

والبراهين التي سقناها للإيمان بالملائكة عليهم السلام، هي بعينها يؤتى بها هنا، ويُستدل بها على وجود الجن والشياطين، وخلاصتها: أن الكائنات كلها ما بين غيب وشهادة، وأن الإنسان إذا كان في مكان خلت منه سائر الأمكنة وأصبح كل ما لا يراه، ولا يسمعه، ولا يحس به لبعده عنه غيباً له، فإذا ما صدق به كان ذلك إيماناً منه بالغيب، وطريقه إليه هو الآثار الدالة، والأخبار الصادقة، فإذا وُجد أثر لشيء ما كان الإنسان مضطراً إلى التصديق به، وإن لم يره، ولم يسمعه، ولم يحس به بأية حاسة من حواسه التي هي مصدر حصوله على أغلب علومه، ومعارفه. كما أنه إذا أخبره ثقة بشيء من الممكنات فضلاً عن أن تخبره جماعة كثيرة يستحيل عادة تواطؤها على الكذب آمن بما أخبر به، وصدق تصديقاً جازماً، بحيث لا يتردد في صحة ثبوته أبداً، بل قد يُعد المكذب به ناقصاً في عقله، هابطاً من شرف إنسانيته وكرامة آدميته.

ولما كان المؤمن قد آمن على مثل هذين الدليلين بالملائكة، وهم من الغيب المحض، فكيف لا يؤمن بعالم الجن والشياطين، وهما أقرب المغيبات إلى الملائكة عليهم السلام.

أدلة وجود الجن والشيطان

والآن نورد الأدلة والبراهين المثبتة لوجود الجن والشياطين بالآثار والأخبار كما برهنا بذلك على وجود الملائكة الأطهار، واكتفينا به:

١- الآثار:

إن الآثار الدالة على وجود الجن والشياطين كثيرة جداً وحسبنا منها ما يلي:

1- الصرع الذي لا يكاد يخلو منه زمان ولا مكان، ومنذ فجر التاريخ، ونعنى بالصرع ما كان سببه الأرواح الخبيثة، وهي أرواح الشياطين، وأما ما كان سببه الأخطا الرديئة فذاك شيء آخر، فإنه قد يعالج بالأدوية المادية، وقد يشفى صاحبه، وقد لا يشفى، وإنما نعنى بالصرع الدال على وجود الجن والشياطين، الصرع الذي سببه الأرواح الخبيثة، ذلك الصرع الذي وقف الطب حتى في أيام تقدمه، وقف حياله لا يبدي، ولا يعيد، فإنه أثر من آثار الجن والشياطين، ودليل قاطع على وجودهم.

2- تكلم الجن على لسان الشخص الذي يحل فيه، ويتلبس به، وإخباره بأمر لم يكن الإنسان المصاب به يعرفها، حتى إن بعضهم ليتكلم بلغات لم يكن المصاب يعرف منها حرفاً واحداً.

3- خروج الجن من الإنسان الذي حل فيه وركبه، بواسطة الرقى من ذوى الأرواح الطيبة، والنفوس الزكية، أو بواسطة الأرواح الخبيثة من البشر ممن يوالون الشياطين، ويتعاونون معهم،

وتصريح الجن بالخروج وعدم العودة بالمصروع، وذلك بعد تخويله وتهديده من الرقى، وهذه المسألة قد يستغربها البعض، أو ينكرونها، غير أن الواقع أثبتها بما لا مجال للشك فيه بحال من الأحوال.

4 - ظهور بعض الجن لبعض الناس، ومخاطبتهم إياهم وهذا أيضاً متواتر الأخبار بحيث يعد إنكاره غباء وجهالة. أو مكابرة وجحوداً، لا يرضاهما العاقل لنفسه.

5 - الجرائم التي يرتكبها الإنسان بين الناس من لواط، وزنا، وقتل نفس، وسرقة، وشرب الخمر، وكفر، وعقوق، وكذب، وخلف للوعد، ونكث بالعهد، كل هذه الجرائم التي تتنافى مع الفطر البشرية، والشرائع الإلهية، والقوانين الدولية هي بدون شك آثار للشياطين؛ إذ هي التي تحسنها للإنسان، وترينها له، وتخريه بارتكابها، لإغوائه وإفساد روجه التي عليها مدار سعادته وشقائه في الدار الآخرة؛ إذ الشياطين في إفساد أرواح الناس هي بمثابة الجرائم التي تفسد أجسامهم وسواء بسواء.

وهنا نقول: سبحان الله إننا لو قلنا لإنسان مريض إن سبب مرضك أيها الأخ الجرائم الفلانية، أو الفلانية فاستعمل لها الدواء الفلاني فإنك تشفى بإذن الله تعالى، لما تردد في تصديقنا، ولبادر إلى استعمال الدواء، وجربه مع أنه لم ير الجرائم، ولم يحس بها بأية حاسة من حواسه، وإنما صدقنا للأثر الذي شاهده وهو المرض القائم بجسمه، والذي يشعر بالآمه وأتعبه كل ساعة من ساعات أيام مرضه. وإذا قلنا له: إن نفسك مريضة، ولذا أنت تحب الكذب، والخيانة، وترغب في الجريمة، وتميل إلى الخبث، وأن سبب مرض نفسك الشيطان فاستعمل له كذا وكذا فإنك تشفى بإذن الله لأنكر غالباً ولم يصدق، في حين أن الدليل واحد في المسألتين، وهي الآثار الدالة على المرض الجسماني والروحاني، وعدم تصديقه بالمسألة الأخيرة أكبر دليل على وجود الشيطان؛ إذ لولا صرفه عن التصديق بما ألقى في نفسه من الريب، والشكوك لما كذب، وأنكر أبداً، إذ ما ثبت به وجود الجرائم في الجسم وهو الأثر، هو عين ما يثبت به وجود الشياطين وهو الأثر أيضاً.

٢ - الأخبار:

إن الأخبار الإلهية، والنبوية الصادقة، والناطقة بوجود الجن والشياطين لكثيرة جداً، فلنكتف بذكر طائفة منها، ولنبدأ بأخبار الله تعالى:

١ - أخبار الله تعالى:

أخباره تعالى المصرحة بوجود الجن والشياطين كثيرة، منها: قوله تعالى في خلق الإنسان والجان: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ (الرحمن: ١٤، ١٥). وقوله في بيان العلة في خلقه للإنس والجن: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ

مِنْهُمْ مَنْ رَزَقَ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: 56-58﴾. وقوله تعالى في الإخبار عن طاعة ملائكته له، وفسق إبليس عن أمره، وفي النهي عن اتخاذ إبليس وذريته أولياء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَسْخَدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴿الكهف: 50﴾.

وقوله تعالى في إخباره بخلق الإنسان، وتصويره، وأمر ملائكته بالسجود له، وامتناع إبليس عن ذلك، وتوبيخه على عدم السجود، واعتذار إبليس عن عدم السجود لآدم، وهو عذر أقيح من ذنب، وعن طرد الله تعالى له من الجنة وإبلاسه، وإيعاده هو ومن تبعه من الناس بعداب جهنم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا وَمَدْحُورًا ﴿١﴾ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿الأعراف: 11-18﴾.

وقوله في الإخبار بأن شياطين الجن وشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض الباطل والكذب، لتضليل الناس، وإغوائهم بالفتن والشُرور: ﴿شَیْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴿الأنعام: 112﴾.

وقوله تعالى في الإخبار بما امتن به على عبده ورسوله سليمان عليه السلام، وتسخير الجن والشياطين له، حيث كان يستخدمهم عليه السلام في شتى الأعمال والأغراض: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ يَعمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴿سأ: 12، 13﴾. وفي آية أخرى يقول: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَأَخْرَيْنَ مَقْرَنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ص: 37-39﴾.

وقوله تعالى في الإخبار عن جن نصيبين الذين حضروا صلاة الصبح مع الرسول عليه الصلاة والسلام في بطن نخلة⁽²⁾، وكيف رجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان بالرسول ﷺ وينذرونهم مما يترتب على عدم إيمانهم من العذاب الأليم: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ

(1) المذؤوم: المعيب بأسوء العيوب، والمدحور: المطرود المبعذ. (2) مكان بين مكة والطائف.

يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿الأحقاف: 29، 31﴾.

وقوله تعالى في أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر بما أوحى إليه من استماع الجن لقراءته، وبالذي دار بين الجن من أحاديث عجيبة، تحوى حقائق مذهشة عظيمة عن الجن، وعقائدهم، وأعمالهم، وأحوالهم: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: 1، 2). في كذا آية من سورة الجن.

وقوله تعالى في الأمر بالاستعاذة من الشيطان في ثلاث آيات منها: ﴿وَإِذَا بَزَغْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَّغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 200). ومنها ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 98-100). ومنها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

٢- أخبار الرسول ﷺ

وهي كثيرة منها قوله ﷺ في الإخبار عن القرين من الجن، والذي وكل بكل إنسان: «ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»⁽¹⁾. وقوله ﷺ في الإخبار عن دخول الشيطان مع الإنسان بيته، وتناوله من طعامه وشرابه وذلك من رواية مسلم: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان (لأولاده ومن معه من الشياطين): لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»⁽²⁾، وقوله ﷺ في النهي عن الأكل والشرب بالشمال والتعليل بأكل الشيطان وشربه بشماله: «لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها»⁽³⁾، وقوله ﷺ وهو يحذر المؤمنين من أن يبيت أحدهم وفي يده أثر طعام، أو إدام من أن يأتي الشيطان للحنس ذلك من يده فيؤذيه: «إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»⁽⁴⁾، وقوله ﷺ لما سأله الجن الزاد في حديث الصحيح:

(1) مسلم (8/139). (2) مسلم (6/108). (3) رواه مسلم (6/109)، ومالك، وأبو داود.

(4) أخرجه الترمذي (أطعمة/48)، وأبو داود (30/1)، وابن حبان وغيرهم، ومعنى حساس: شديد

الإحساس، ولحاس: كثير اللحنس، غمر بفتح الغين والميم: رائحة الطعام.

«كل عظم ذكر اسم الله عليه وقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعير علف لدوابهم»⁽¹⁾ ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروث، وقال معللاً النهي: «فإنه زاد إخوانكم من الجن»⁽²⁾، وقوله ﷺ في صلاته بالليل: «إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم... الحديث»⁽³⁾. وقوله ﷺ في إرشاده لأمته أن تسأل الله تعالى عند سماع صياح الديك وتستعيذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار: «وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً»⁽⁴⁾، وقوله ﷺ في الإرشاد إلى الآداب في حديث البخاري: «الثأوب من الشيطان»⁽⁵⁾، وقوله ﷺ أيضاً وهو يرشد أمته إلى كيفية رد كيد الشيطان ومجاهدته بدفع ما يلقيه من الشبه في نفس العبد: «يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وليتته»⁽⁶⁾، وقوله ﷺ في الصحيح كذلك: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ... الحديث»⁽⁷⁾.

وجوب الإيمان بوجود الجن والشياطين:

لذلك الأدلة العقلية والفعلية، التي سقناها كان الإيمان بوجود الجن والشياطين واجباً حتماً، بل كان جزءاً من عقيدة المؤمن لا يتجزأ وكل محاولة لإخلاء العقيدة الإسلامية من التصديق بوجود عالمي الجن والشياطين تعد كفراً صراحاً، مخرجاً من الملة المحمدية، لأجل ما في ذلك من التنكر للعقل، ورفض بدهياته، ولتكذيب الله تعالى في أخباره، ولتكذيب الرسول ﷺ، وكفى بتكذيب الله تعالى، وتكذيب رسول الله ﷺ كفراً وباطلاً.

بعض معلومات عامة عن الجن والشياطين:

وها هي ذى بعض المعلومات عن عالمي الجن والشياطين، ونوردها تقريراً لمبدأ الإيمان

(1) رواه البخاري من حديث أبي هريرة وجاء فيه: «فقلت: فما بال العظم والروثة؟ قال: هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً» (59/7).

(2) رواه أبو داود والترمذي والنسائي. (3) متفق عليه، واللفظ للبخاري، اللؤلؤ والمرجان (1/109).

(4) متفق عليه واللفظ للبخاري، اللؤلؤ والمرجان (3/233)، متن البخاري (4/155).

(5) متفق عليه واللفظ للبخاري، اللؤلؤ والمرجان (3/327)، متن البخاري (4/152).

(6) متفق عليه واللفظ للبخاري، اللؤلؤ والمرجان (1/26).

(7) متفق عليه واللفظ للبخاري، اللؤلؤ والمرجان (3/16).

بوجودها، وتوضيحاً لكثير من معالم ذلك العالم الغيبي المجهول عند الذين يعيشون بعيدين عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١- مادة خلق الجن:

الجان هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقه قبل خلق الإنسان، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ (الحجر: 26-27).

وهل السنة في خلق الجن وذريته كالسنة في خلق آدم وذريته؟ بمعنى أن الجان الأول خلق من نار وأولاده خلقوا بطريقة أخرى كالتناسل؟ محتمل والله أعلم.

٢- لم سمى الجن جنأ؟

سمى الجن جنأ لاجتنانهم، وهو استتارهم، وعدم ظهورهم للناس، لأن الاجتنان هو الاستتار، وهو مأخوذ من جن الليل إذا أظلم، فستر الأشياء بظلامه، ومنه سُميت جنة المقاتل وهي الخوذة التي يجعلها على رأسه في الحرب وسميت الجنة دار النعيم جنة، لأنها تستر بأشجارها الكثيرة الملتفة من يدخلها، كما سمي الجنين في بطن أمه جنيناً لاستتاره ببطن أمه، وعدم ظهوره. قال تعالى في الشيطان من الجن: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27).

٣- افتقار الجن إلى الغذاء:

إن الجن مفتقرون إلى الغذاء المناسب لذواتهم كافتقار سائر الحيوانات والنباتات لأغذيتها المناسبة لها، والدليل على هذه الحقيقة: ما صح من أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد فقال لهم: «كل عظم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا»⁽¹⁾ ونهى ﷺ عن الاستجمار بالعظم، وقال: «إنه طعام إخواننا من الجن». كما نهى عن الأكل بالشمال والشرب بها وعلل ذلك بأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله.

فثبت بهذه الأحاديث الصحيحة المخرجة في البخارى ومسلم أن الجن والشياطين يأكلون ويشربون، وذلك لأجل التغذية اللازمة لهم حسب ذواتهم والطبيعة التي خلقهم الله تعالى عليها.

٤- الجن يتوالدون:

لا شك أن الجن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة خلقهم وتكوينهم، وأن

(1) تقدم تخريج هذا الحديث قريباً في فصل أخبار الرسول ﷺ.

لهم سنة في ذلك يتم بحسبها وجود ذرية لهم، كما تتوالد سائر الأحياء، كل على نظام السنة التي جعلها الله تعالى له. ويشهد لهذه الحقيقة ويقررها القرآن الكريم: حيث جاء فيه قول الله تعالى: ﴿أَفْتَتَخَذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: 50).

فإن المنهي عن اتخاذه وذريته أولياء هو إبليس وذريته بدليل السياق إذ أوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَخَذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف: 50).

كما ورد في صحيح مسلم أن الشيطان يشارك الإنسان في طعامه وشرابه وفراشه إن لم يذكر اسم الله تعالى عند أكله وشربه ومخالطة أهله⁽¹⁾. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: باسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك، أو قضى ولد، لم يضره شيطان أبداً»⁽²⁾.

٥ - هل بين الجن والشيطان فرق ؟

نعم إن بين الجن والشيطان فرقاً كبيراً، ولكي تتجلى هذه الحقيقة واضحة نذكر أن الخلق الراقى أربعة أنواع وهي: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين.

فالملائكة: عالم روحاني مستقل، له خصائصه، وصفاته، وأحواله، وقد تقدم البحث مستفيضاً في بيان حقيقة هذا العالم العلوى الكريم.

والجن: نوعان، شياطين لا خير فيهم البتة، وجن منهم الصالح، ومنهم الفاسد، فحالهم كحال الناس، منهم البار ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر، بيد أن الشياطين أصلهم من الجن، وذلك، لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: 50).

ولما أبلس الشيطان، وطرد من الرحمة الإلهية، وانقطع من الخير كلية، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيهم أصلاً، فلا يعرفون إلا الشر، ولا يدعون إلا إليه. والمثل القريب لذلك أن الحية لا تلد إلا حية، فلم يطرأ ولن يطرأ على نسلها - منذ أن كانت - تغيير بحيث تلد أولاداً، لا سم فيهم، ولا خبث معهم.

ثم إن كل من يخبث، ويتمرد، وينقطع عن الخير من أفراد الجن والإنسان يصبح شيطاناً، فإن

(1) تقدم هذا الحديث بلفظه قريباً في فصل أخبار الرسول ﷺ.

(2) متفق عليه واللفظ للبخارى، النؤلؤ والمرجان (2/100)، والبخارى (7/29، 30).

عنا قيل فيه وارد. وإن زاد عتوه وطغيانه قيل فيه عفریت.

وقد أثبت القرآن العظيم هذه الحقائق كلها، إذ جاء فيه أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين قال تعالى: ﴿ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام: 112). كما جاء فيه أن من الجن صالحين، وذلك في قوله تعالى فيما حكاها عن الجن: ﴿ وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ (الجن: 11).

كما أخبر تعالى أنه خلق الجن كالإنس لعبادته وطاعته في قوله جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ (الذاريات: 56-58).

كما أخبر تعالى أن الشيطان يأمر بالفحشاء في قوله: ﴿ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (البقرة: 268).

كما أخبر تعالى أن الشيطان يضل من يتبعه، ويهديه إلى عذاب السعير في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٢) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج: 3، 4). وهذا هو النوع الذي لا خير فيه من شياطين الجن، وهو إبليس عليه لعائن الله تعالى.

٦. هل الجن والشياطين يتشكلون؟

لا شك في أن الجن كالشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة، ويتلونون تلوناً كبيراً، وهذا مما دل عليه دليل السمع، والمشاهدة. وهو من الممكنات الجائزة عقلاً، إذ تصور وجودها لا يوجب تناقضاً عقلياً أبداً.

ومن الأخبار الدالة على تشكل الجن بأشكال متعددة ما يلي:

1 - مجيء الشيطان إبليس دار الندوة في مكة ورجال قريش مجتمعون فيها للتشاور في أمر النبي محمد ﷺ ودعوته الإسلامية التي أظهرها فيهم، فتحيروا لها، وعظم عندهم أمرها، فاجتمعوا يبحثون عن تخريج لهم منها، ولو كان قتل النبي ﷺ، أو حبسه، أو نفيه، فهم كذلك حتى دخل عليهم الشيطان في صورة رجل كبير محترم من رجالات نجد ومشائخها الموقرين وشارك في اجتماعهم، ومداؤلاتهم، ورجح لهم اقتراحاً حاز أغلبية الأصوات، وهو أسوأ اقتراح تقدم به إنسان وأفبحه، وأكثره شراً وفساداً، ألا وهو الحكم بقتل الرسول ﷺ. (1)

(1) ذكر القصة ابن كثير في البداية والنهاية (3/175-176)، وابن هشام (2/103-1-5).

فهذه الحادثة متواترة لا مجال للشك فيها فضلاً عن إنكارها وجحودها.

2 - تشكل جان من جنان المدينة النبوية في صورة حية، لما روى مسلم أن أبا سعيد الخدري قال: كان فتى منا حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة» فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيره، فقالت له: أكف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني. فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً: الحية أم الفتى؟؟ (1)

3 - تشكل شيطان في صورة إنسان، وسرقته من تمر الصدقة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري، إذ فيه ما معناه أن أبا هريرة جعله رسول الله ﷺ على حراسة تمر الصدقة «الزكاة» فكان الجان يأتيه في صورة إنسان ويأخذ من تمر الزكاة، فقبضه، وأراد أن يوقع به فاعتذر للعين فتركه، ثم أتى للمرة الثالثة، وعندها عزم أبو هريرة على أن يذهب به إلى رسول الله ﷺ غير أن الشيطان اعتذر كذلك بأن له عيلاً، وأنه مضطر، وطلب من أبي هريرة أن يعفو عنه، على أن يعلمه آية من كتاب الله تعالى من قرأها فإن الشيطان لا يقربه. وهذه الآية هي آية الكرسي، فعفا عنه وتركه. ولما لاقى أبو هريرة رسول الله ﷺ بادره النبي ﷺ قائلاً: ما فعل أسيرك البارحة. فقال له أبو هريرة: كان من أمره كذا وكذا... فقال له النبي ﷺ «صدقك وهو كذوب!!!». (2)

تنبيه:

على إثر تقريرنا أن الجن والشياطين يتشكلون، كما تتشكل الملائكة نبيه إلى أنه لم يثبت لدينا خبر صحيح عن كيفية تشكل الملائكة، والجان، والشياطين، غير أنه لا يبعد أن يكون الله تعالى قد علمهم أسماء يدعونه بها، أو كلمات يقولونها فيتم لهم ذلك التشكل على الصورة التي يريدون، وفي حدود ما أذن لهم فيه، بدليل أن الشيطان لا يقدر على التمثل بصورة الرسول ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من رأى فقد رأى حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي». (3)

(1) مسلم (40/7).

(2) رواه البخاري تعليقاً (125/3).

(3) متفق عليه واللفظ لمسلم، اللؤلؤ والمرجان (80/3)، والبخاري (42/9)، ومسلم (54/7).

٧- أين يسكن الجن ؟

الغالب في الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب، والحشوش، والمزابيل، والقمام
لحديث أبي داود «إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من
الخبث والخبائث».

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخبات الرجال والنساء من أهل الآثام والأفاكين،
الملوئين بالذنوب، والجرائم العظام. قال تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مِنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنْزَلُ
عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (الشعراء: 221 - 223).

٨- هل الجن تسترق السمع من المملأ الأعلى ؟

نعم إن الله تعالى أعطى الجن والشياطين قدرة على العروج إلى الملكوت الأعلى، فلذا
هم يعرجون كما تعرج الملائكة من الأرض إلى السماء، ويسترقون السمع من الملائكة،
ويهبطون به إلى الأرض، ومن كان له ولي من الإنس يفضي به إليه، ليحدث به الناس،
فيفتنهم، ويغويهم ويشهد لهذه الحقيقة ويثبتها ما قصه الله تعالى في كتابه، وحكاه عن الجن
أنفسهم في قوله: ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا
مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ
أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن: 8 - 10).

كما يؤكد هذه الحقيقة حديث البخاري، والذي فيه أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تنزل في
العنان وهو السحاب، فتذكر الأمر قضى في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه
إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» (١).

٩- الجن أقل قدراً وأدنى كرامة من الإنسان :

إن الجن حتى الصالحون منهم لأقل قدراً، وأدنى كرامة، وأنقص شرفاً من الإنسان، إذ قرر
الخالق عز وجل كرامة الإنسان، وأثبتها في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: 70).

ولم يثبت مثل هذا التكريم للجنان لا في كتاب من كتب الله، ولا على لسان رسول من رسله عليهم السلام، فتبين بذلك أن الإنسان أشرف من الجن، ويدل على ذلك أيضاً شعور الجن أنفسهم بنقصانهم، وضعفهم أمام الإنسان، يدل على ذلك أنهم كانوا إذا استعاذ الإنسان بهم تعاضموا وترفعوا لما في استعاذة الإنسان بهم من تعظيمهم، وإكبارهم وهم ليسوا كذلك فيزدادون رهقاً أى طغياناً وكفراً. قال تعالى في الحديث عنهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: 6).

ويشهد لذلك أيضاً أن الإنسان إذا توسل بهم أو بأسماء عظمائهم، أو أقسم بأشرفهم أجابوه، وقضوا حاجته، كل ذلك شعور منهم بالضعف، والحقارة أمام ابن آدم الكريم على الله تعالى إذا آمن بالله تعالى، وعبده موحداً له في ربوبيته، وعبادته، وأسمائه، وصفاته أما بدون ذلك فإن الإنسان كالجان، وصالحو الجن أفضل وأكرم من كفار بنى آدم ومشركيهم.

١٠ = هل صالحو الجن يدخلون الجنة ؟

قد سبق أن قررنا فيما تقدم، وبيننا بوضوح أن الجن غير أولاد إبليس، خلُقوا لعبادة الله تعالى وطاعته، شأنهم في ذلك شأن بنى الإنسان، وأن منهم الصالحين، ومنهم دون ذلك، وعليه فالصالحون منهم، وهم أهل الإيمان والتقوى يدخلون الجنة، وينعمون فيها إن هم ماتوا على الإيمان والتوحيد، والتقوى والعمل الصالح.

والدليل على هذه الحقيقة العلمية عموميات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج: 11). وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء: 94). وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 9).

فكلمة (مَنْ) من ألفاظ العموم فيدخل فيها كل من حقق الشرط الذي قرن بها من إنس وجن، ويتلقى الجزاء، وهو المغفرة والجنة كل من حقق الشرط من إنس وجن. وأصرح في الدلالة من هذا قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن: 46). في سياق ذكر الإنس والجن معاً.

١١ - هل الجن يؤذون الناس ؟

إن أذى الجن للإنس ثابت لا يُنكر، حيث ثبت ذلك بالدليل السمعي، والدليل الحسي، والعقل لا يحيله، بل يجيزه ويقره، ولولا المعقبات من الملائكة التي أناط الله تعالى بها حفظ الإنسان لما نجا من الجن والشياطين أحد.

وذلك لعدم رؤية الإنسان لهم، ولقدرتهم على الانتقال والتحول بسرعة، لكون أجسامهم من اللطافة بحيث لا تشعر بها، ولا نحس، ومن هنا كان مما لا شك فيه أن بعض الجن يؤذون بعض الناس، إما لكون الإنسان قد تعرض لهم بالأذى فأذاهم بصب ماء حار عليهم، أو ببوله عليهم، أو بنزوله في بعض منازلهم وهو لا يشعر، فينتقمون فيؤذونه.

وإما لمجرد الظلم من بعضهم، فيؤذون الإنسان بدون سبب كما يحدث ذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ إذ أحياناً يؤذى الإنسان أخاه لسبب خاص، وأحياناً لمجرد الظلم، كما هو مشاهد في الناس عند فساد فطرهم، وضعف إرادتهم، وعقولهم، وقد تقدم حديث الصحيح وجاء فيه أن الشاب الأنصاري لما طعن الجنى المتمثل في صورة حية، ما ماتت الحية حتى انتقم منه الجن، وقتلوه فمات لفوره حتى قال أبو سعيد: «لم يدر أيهما كان أسرع موتاً من صاحبه الحية أم الفتى؟»^(١) ولشهرة هذه الحقيقة، وتسليم الناس بها لا نطلب لها إيراد شواهد أخرى، ونكتفي بحادثة الأنصاري الثابتة في صحيح مسلم، وبذكر حادثة أخرى تمت في بيتنا وعشنا آلامها، وعانينا آثارها السيئة.

إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى «سعدية»، وكنا يوماً ونحن صغار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل يربط به القنو (العرجون) ونسحبه إلى السطح ونحن فوقه، فحصل أن أختي سعدية جرت الحبل، فضعفت عنه، فغلبها فوقعت على الأرض على أحد الجنون، فكانها بوقوعها عليه أذته أذى شديداً، فانتقم منها فكان يأتيها عند نومها في كل أسبوع مرتين أو ثلاثاً، أو أكثر فيخنقها، فترفس المسكينة برجليها، وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميته، ونطق مرة على لسانها مصرحاً بأنه يفعل بها هذا؛ لأنها

(١) رواه مسلم وتقدم في (هل الشياطين يتشكلون؟).

آذته يوم كذا فى مكان كذا .. وما زال يأتيها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذى لا يطاق، فصرعها ليلة على عادته فما زالت ترفس برجليها وتضطرب حتى ماتت - غفر الله لها، ورحمها أمين.

هذه الحادثة عشتها، وبعيني رأيتها، وما راء كمن سمع !!!

فائدة عظيمة

ونختتم هذا البحث فى موضوع الجن والشياطين بفائدة جلييلة، وهى أن التحصن من الشياطين، والاحتراز منهم ممكن، إذا استعمل المؤمن واحداً من سبعة أشياء وهى :-

1 - الاستعاذة بالله تعالى، لقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: 36). ولقول الرسول ﷺ فى حديث الصحيحين: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» (1).

2 - قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، لحديث النسائي وغيره وهو حديث حسن الإسناد «يا ابن عباس ألا أدلك أو ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين» (2).

3 - قراءة آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255). لحديث أبى هريرة فى صحيح مسلم وقد تقدم (3) حيث جاء فيه أن الشيطان لما ألقى أبو هريرة عليه القبض قال: «أطلقنى وأعلمك آية لا يقرؤها أحد ويقربه شيطان أبداً»، وقد أقر الرسول ﷺ ذلك بقوله: «صدقك وهو كذوب».

(1) متفق عليه واللفظ لمسلم، اللؤلؤ والمرجان (3/ 199)، ومسلم (8/ 31)، والبخارى (8/ 34، 35).

(2) النسائي (8/ 220، 221).

(3) رواه مسلم، وتقدم فى (هل الجن والشياطين يتشكلون؟)

4 - قراءة سورة البقرة بكاملها، لحديث مسلم وفيه: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»⁽¹⁾.

5 - ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، فإن من فعلها؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»⁽²⁾.

6 - ذكر الله تعالى، لحديث الترمذى وفيه قال يحيى بن زكريا: «وأمركم أن تذكروا الله تعالى؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في إثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم. كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى»⁽³⁾.

7 - الوضوء عند الغضب، فمن غضب فليتوضأ، فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحمله على ارتكاب ما لا ينبغي، أو ما لا يحسن من قول أو فعل، وذلك لحديث أبي داود: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»⁽⁴⁾.



(1) رواه مسلم (2/788).

(2) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان (1/525).

(3) الترمذى (أدب/78).

(4) أبو داود (2/550)، وأحمد (4/226).